TİASAD

Türk & İslam Dünyası Sosyal Araştırmalar Dergisi
The Journal of Turk & Islam World Social Studies

Yıl: 7, Sayı: 24, Mart 2020, s. 118-140

Nada Ahmed SAYED

Selçuk Üniversitesi, Arap Dili ve Edebiyatı, nadaahmed5061@yahoo.com

NECİP MAHFUZ'UN TARİHİ ROMAN SERÜVENİ

Özet

Necip Mahfuz, edebiyat hayatının başında tarihsel konular yazmaya başlamıştır ve eski Mısır kitabını 1932'de İngilizceden çevirmiştir. Daha sonra, eski Mısır tarihini Walter Scott'ın ülkesinin tarihinde yaptığı gibi roman biçiminde yazmıştır. Tarihsel romanlar için 40 konu hazırladığını belirtmiş ve tamamlanana kadar yaşamayı ummuştur. Yazmış olduğu bu üç roman: 1939'da kaderler saçması, 1943'te Radubis ve 1944'te Tiba mücadelesidir. Bu üç romanın basılmasıyla, eski Mısır tarihine yönelik romanlarındaki tarihsel eğilimi durdurmuştur. Mahfuz, bu romanları yazarken, tarihi bir amaç gütmemiştir. Bu üç tarihsel romanda, geçmişin canlandırmak amacıyla tarihsel felsefeyi üç aşamada ele almıştır. İlki, insan doğasındaki kaderin kontrolü ve insan eyleminin işe yaramaz olduğudur. İkincisi, insandaki iç irade ve sevginin kontrolüdür. Son olarak üçüncüsü ise, insan eylemi üzerindeki zihnin kontrolüdür ve bu eylem, Mısır'ın kurtuluşuna ve Heksos'un işgalinden bağımsızlığına sebep olan bir hale gelmiştir. Yazarın ikinci romanı ise, romantik tarihsel bir romandır. Ancak incelenen üçüncü roman ise, sosyal bir roman konumundadır.

NECİP MAHFUZ'S HISTORICAL NOVEL DVENTURE

Abstract

Necip Mahfuz began writing historical subjects at the beginning of his literary life, translated the ancient Egyptian book from English in 1932. Later, he prepared to write ancient Egyptian history in the form of a novel, as Walter Scott did in the history of his country. He said he had prepared 40 topics for historical novels and hoped to extend his age until completion. He wrote three novels: the absurdities of fate in 1939, the Radubis in 1943, and the struggle of Tiba in 1944. With the publication of these third novels, he stopped the historical tendency in his novels

for ancient Egyptian history. In writing these novels, history had no purpose, but it was a stage to revive the history and revive the history of the Egyptian pharaoh, and in these three historical novels, we realize that the historical philosophy has gone through three stages, the first is the control of fate and human action in human absurdity. the will is the control of the inner will and the control of love is therefore an imperative, the third is the control of the mind over human action, and this action can lead to the liberation of Egypt and the independence of Hexos, the second novel is a romantic historical novel, but the third novel is a Social novel counted.

Keywords: Nagouip Mahfouz, Historical novel, Egypt

مغامرة نجيب محفوظ الروائية التاريخية

على الرغم من أن الدول الغربية تتسابق في كتابة الرواية بكافة عناصرها أولا الدول الشرقية بما فيها الدول العربية لها أولوية في كتابة القصة مثل ألف ليلة و ليلة ، كليلة و دمنة، مقامات و الاساطير. بدأ انتقال الرواية الى الدول العربية مثل مصر و لبنان بالترجمة. هناك عديد من الروايات الغربية مثل مغامرات تليماك، البؤساء و الخ. ترجمت الى العربية و بعد مدة بدأ الكتاب العرب أن يعربون بعض الروايات الغربية. فنجد مثلا الروايات الغربية المترجمة الى العربية أسماء الشخصيات قد تغيرت و أصبحت أحمد، سعيد فاطمة و عائشة. و فيما بعد جاءت مرحلة تأليف الرواية العربية بكافة عناصرها. أول الرواية العربية كتبها محمد حسين هيكل سماها اولا *مناظر أخلاق ريفية* من أجل الضغط الاجتماعي آنذاك و بعد زوالها سماها بزينب.

الرواية العربية حازت على الشهرة بفوز نجيب محفوظ جائزة نوبل للآداب و بهذا بدأ العالم ان يهتم بالرواية العربية الحديثة. بالرغم من أن نجيب محفوظ درس الفلسفة اشتغل بكتابة القصة و الرواية. اشتهر بالقصص و الروايات الاجتماعية الواقعية و الرمزية خاصة.¹

اتجه نجيب محفوظ في بداية حياته الأدبية إلى كتابة الموضوعات التاريخية فترجم كتاب مصر القديمة عن الانجليزية عام 1932م ، ثم استعد لأن يكتب تاريخ مصر القديمة في قالب روائي على نحو ما صنع ولتر سكوت في تاريخ بلاده ، وقد ذكر أنه أعد أربعين

¹ اتجه نجيب محفوظ في بداية حياته الأدبية إلى كتابة الموضوعات التاريخية فترجم كتاب مصر القديمة عن الانجليزية عام 1932م ، ثم استعد لأن يكتب تاريخ مصر القديمة في قالب روائي على نحو ما صنع ولتر سكوت في تاريخ بلاده ، وقد ذكر أنه أعد أربعين

موضوعاً لروايات تاريخية ، وأمل أن يمتد به العمر حتى يتمها ، وقد كتب منها ثلاث روايات وهي : عبث الأقدار عام 1939م ، و رادوبيس عام 1943م ، وكفاح طيبة عام 1944م ، وبصدور رواياته الثالثة هذه كفَّ عن الاتجاه التاريخي في رواياته التي تستهدف تاريخ مصر القديم.²

وعند كتابته لهذه الروايات لم يكن التاريخ عنده هدفاً، بل كان مرحلة لإحياء الماضي وبعث التاريخ المصري الفرعوني، وفي هذه الروايات التاريخية الثلاثة نلاحظ أنه مرت فلسفته التاريخية بثلاث مراحل ، الأولى هي سيطرة القدر على الانسان بصورة عبثية وأن الفعل الانساني لا جدوى منه ، والثانية هي سيطرة الارادة الداخلية على فعل الانسان وسيطرة الحب عليه وبالتالي هو أيضا مسير ، أما الثالثة هي سيطرة العقل على الفعل البشري وأن هذا الفعل أصبح له جدوى أدى إلى تحرير مصر والاستقلال من احتلال الهكسوس ، فالرواية الثانية تعد رواية تاريخية رومانسية أما الثالثة تعد رواية تاريخية اجتماعية .

قد حكى لنا قصة كتابة أولى رواياته التاريخية ، وهي عبث الأقدار فذكر انه كان يترجم كتاب "مصر القديمة" مستوحياً نصيحة أستاذه سلامة موسى، وكان بالكتاب حكاية عن قارئ الغيب الذي تنبأ لخوفو بشئ ثم لم تكتمل الحكاية نظراً لفقدان ورقة البردي التي كتبت عليها فتخيل تكملة لها في روايته هذه.³

الرواية تتخذ مجالاً لأحداثها أيام الملك الفرعوني خوفو ، وتعرض صوراً مشرقة لما كان في عهده من حضارة مصرية شملت كل النواحي السياسية والعسكرية ، والفكرية والفنية ، والاجتماعية والخلقية ، وتجلو فيها جوانب العظمة في هذا الملك المصري القديم ، من قوة القاهرة وحكمة باهرة ، وقلب رحيم ، ووفاء عظيم ثم رجوع إلى الحق وتكفير عن الذنب ورضوخ إلى القضاء ، بعد أن حاول مقاومته وتحديه للأقدار بغرور الملك القوي ذات يوم.⁴

الرواية تؤكد نفاذ حكم الأقدار ، وانتصار قدرتها الغالبة على كل قدرة، حتى كأنها تسخر من كل قدرة سواها ومن كل تدبير يقاومها وعلى الرغم من ذلك قد سمي المؤلف الرواية باسم "عبث الأقدار" مما يوحي بأن تصرفات الأقدار عبث لا منطق له ولا دلالة

² يوسف حسن نوفل، القصة والرواية بين جبل طه حسين وجبل نجيب محفوظ ، ص 128.

³ نفس المرجع ، ص 128.

⁴ أحمد هيكل، الأدب القصصي والمسرحي في مصر من أعقاب ثورة 1919 إلى قيام الحرب الكبرى الثانية ، ص 256.

ولهو لا جد فيه ولا حكمة، لذلك كان الأفضل أن يطلق عليها اسم "سخرية الأقدار" فهي حكيمة وقاهرة ونافذة كما تؤكد الرواية ، وهي بذلك كأنها تسخر من كل حكمة ومقاومة وقوة بشرية.⁵

اختار نجيب محفوظ لروايته أعظم فترات التاريخ المصري القديم شهرة، وهي الفترة التي تقع قبل بناء الهرم بعشر سنوات وما بعدها حتى نهاية حكم الملك خوفو⁶ ، حيث ظل هذا الهرم رمزاً للقوة المصرية والتحدى الشعبي.

الأمكان في هذه الرواية هي : مدينة منف ، مدينة أون ، وهم مدن مصر الفرعونية.

أما الشخصيات في هذه الرواية متعددة . البطل الحقيقي هو القدر.

(الملك خوفو) هو الملك الحاكم لمصر و الصفة الغالبة عليه هي العظمة ، بل العظمة البالغة حتى يكون تحديه للأقدار بالغ القوة ويكون رد الأقدار عليه شديد القسوة، ذهب على رأس جيش لقتل طفل النبوءة لكن خائنه الأقدار لم يقتله وظل يتقرب من الأسرة الملكية حتى أعلن الملك أنه سيكون ولي عرشه بعد وفاته.وملامح هذه العظمة مثل صدره الواسع وعينييه الثاقبتين، وأنفه الأشم ، وساعديه المفتولين.⁷

(الساحر ديدى) بالغ من العمر مائة عام وعشرة ولا يزال محتفظاً بقوة الشباب، وفتوة الصبا، وله قدرة عجيبة يتسلط بها على الانسان والحيوان، وبصيرة نافذة تهتك حجب الغيب⁸، رجل طويل القامة ، عريض المنكبين ، حاد البصر، نافذ النظرات، يكلل رأسه شعر أبيض ، وتغطي صدره لحية كثيفة، يرتدي عباءة فضفاضة ومتكئاً على عصا طويلة غليظة⁹

(الأمير رعخوف) هو ولي العهد وعلى الرغم من حداثة سنه كان جباراً صارماً، شديد القسوة، ورث عن أبيه قسوته دون رفته.¹⁰ وكان في العشرين من عمره.¹¹ فكانت لديه مطامع وراثته العرش ووضع خطة لقتل أبيه الملك لكنها فشلت ودفع حياته ثمناً لطمعه ، وقُتل على يد القائد (ددف) .

⁵ أحمد هيكل، الأدب القصصي والمسرحي ، ص 266.

⁶ عبد المحسن طه بدر، نجيب محفوظ الرؤية والأداة ، دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة 1978، ج 1 ، ص 169.

نجيب محفوظ ، عبث الأقدار ، الطبعة الثالثة ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1960م ، ص 5.⁷

⁸ نفس المرجع ، ص 15.

⁹ نفس المرجع ، ص 16.

¹⁰ نفس المرجع ، ص 8.

¹¹ نفس المرجع ، ص 9.

(ددف رع) هو طفل النبوة التي أخذته الخادمة (زايا) وقامت بتربيته في بيت المفتش (بشارو) وعرفه على أنه أبيه، ذو عينين سوداوين دعجاوين وأنف طويل مستقيم ، وروحه خفيفة ضاحكة، والتحق بالجندية بالمدرسة الحربية ، وقد أتقن الرماية وبرع في ركوب الخيل وتفوق في المبارزة وأصبح من الحرس الخاص للأمير (رعخوف) ، والذي قام بانقاذ الأمير من موت مؤكد من قبل الأسد الذي ظهر قبالة ووعدده الأمير بمكافأته بما يريده ، وأصبح رئيسا لحرس ولي العهد ، وأصبح قائد الحملة الموجهة إلى سيناء وقام بهزيمتهم و لذلك وافق الملك خوفو على زواجه من الأميرة مري سي عنخ.

(زايا) هي الخادمة العاقر التي قادت العربة التي بها السيدة والطفل الرضيع، ثم تركتها في العربة وأخذت الطفل، ذات وجه مستدير خمري وعينين عسلتين¹²، (كارداد) هو زوج الخادمة زايا الذي كان يعمل ببناء الهرم، وكان حزين لعدم انجابه طفلاً، وكان أسمر الوجه ، مقتول الذراعين ،وجهه مستطيل ذات جبهة ضيقة ، وأنف كبير ،وعيني واسعتين ،صوته خشن ذي لهجة طيبة قحة.¹³

(المفتش بشارو) هو مفتش الهرم العام ، في الأربعين من عمره أو مايزيد ، وكان صاحب قلب طيب رقيق العواطف ،بدين الجسم، يميزه رأس كبير وأنف ضخيم قصير،في وجه ممتلئ، عظيم الشدقين،منتفخ الخدين كقربتين صغيرتين ، وكانت عيناه جاحظتين وجفناه ثقيلين ،ويجلس جلسة كبرياء وعظمة¹⁴ توفت زوجته تاركة له ابنين وهما (خنى) و (نافا)، ثم تزوج من زايا¹⁵ وقام بتربية (ددف) مع أولاده

(نافا بن بشارو) ورث عن أبيه الجسم البدين والوجه الممتلئ ، والكثير من أعماق روحه فكان طيباً مرحاً، وقد حاز على أعلى شهادة في فن الرسم والتصوير ، وله بيت صغير جعله معرضاً لعرض لوحاته الفنية.¹⁶

(خنى بن بشارو) لم يرث من أبيه سوى صوته الأجش الأجوف، وفيما عدا ذلك كان نحيفاً دقيق القسمات هادئ الملامح، يشبه أمه التي اتصفت بالورع والتدين ، وكان يدرس العلوم الدينية ودخل في سلك الكهنوت.¹⁷

¹² نفس المرجع ، ص 62.

¹³ نفس المرجع ، ص 58.

¹⁴ نفس المرجع ، ص 62.

¹⁵ نفس المرجع ، ص 69.

¹⁶ نفس المرجع ، ص 79.

(ميرابو) هو الفنان المعمار الذي أسند إليه بناء الهرم ، ذو وجه أسمر قاتم وجبهة عريضة، وصوت رفيع ناعم.¹⁸ (الوزير خوميني) هو كاهن المعبود بتاح رب منف ، ذو لحية ، وصوت هادئ.¹⁹ (القائد أربو) هو قائد جيوش الملك. (سرجا) هي الخادمة التي تعمل في قصر كاهن رع الأكبر، والتي سمعت بنبوءة المولود الذي سيرث عرش مصر ، وقام بحبسها الكاهن ثم تمكنت من الفرار منه وإبلاغ الملك خوفاً بما حدث، وبذلك تحققت صدق النبوءة.²⁰ (من رع) الكاهن الأكبر لرع معبود أون ، وهو الذي قام بتهريب زوجته وطفل النبوءة الرضيع في عربة مع الخادمة زايا ، ثم قام بقتل نفسه حتى لا يقتل طفل الخادمة كاتا.²¹

(رده ديديت) هي السيدة الشابة التي تزوجها الكاهن على كبر لتلد الطفل الذي كتب في سجل الأقدار من الحاكمين ، وتركتها خادمتها في وسط الصحراء فأخذت أسيرة من قبل البدو لمدة عشرين عاماً وأثناء غزو (ددف) أخذها مع الأسرى

(كاتا) هي الخادمة النفساء كسيدتها، التي ولدت طفلاً في نفس اليوم²² وألقت بنفسها أمام طفلها وقام الأمير رعخوف بقتلهما بالسيف.²³ (الأمير هوارديف) هو أصغر أبناء الملك خوفو وهو الذي أحضر الساحر له.

(مري سي عنخ) هي الأميرة الصغيرة شقيقة (رعخوف) ذات الوجه البدي واللون الخمري والعينين الصافيتين²⁴ ، شديدة الكبرياء مثل أخيه الأمير ، وأجمل الأميرات ، قام برسمها خلصةً (نافا) في صورة الفلاحة وقد رأي (ددف) هذه الصورة وأعجب بها.

(سنفر) هو صديق (ددف) الذي وجده في قصر الفرعون ترجع صداقتهما إلى الصبا ، كان شاباً صلباً ودوداً مخلص القلب ، صريحاً ثرثاراً.²⁵ (الأمير أبور) هو حاكم مقاطعة أرسينة²⁶ ، في الخامسة والثلاثين من عمره قوي البنيان ، مهيب الطلعة يدل مظهره على

17 نفس المرجع ، ص 79.

18 نفس المرجع ، ص 7.

19 نفس المرجع ، ص 8-9.

20 نفس المرجع ، ص 29-31.

21 نفس المرجع ، ص 46.

22 نفس المرجع ، ص 34.

23 نفس المرجع ، ص 46.

24 نفس المرجع ، ص 101.

25 نفس المرجع ، ص 143.

26 نفس المرجع ، ص 151.

النبيل والشرف²⁷ ، وكان يريد الزواج من الأميرة (مري سي عنخ)، (مانا) هي زوجة (نافا) التي أنجبت طفلاً وقامت بتسميته ددف، (الملكة ميرتيتفس) زوجة الملك خوفو التعيسة على خيانة ابنها الأمير رعخوف لابيه الملك خوفو²⁸، (كاري) هو الطبيب الخاص للملك خوفو، (رعباوف) هو أكبر الأمراء عمراً.

يعتمد بناء هذه الرواية على محورين : المحور الأول هو التسليم للقدر ، والثاني سخرية القدر بالفعل البشري بحيث يصبح مايطننه البشر أنه تحدياً للأقدار أداة لها لتحقيق إرادتها، وهنا بناء الرواية نفسه يعتمد على دعامتين: الدعامة الأولى هي المصادفة ، والثانية هي المفارقة²⁹.

وقد حاول محفوظ ان يشكل روايته من محورين متداخلين ومكملين لبعضهما البعض ، موصولان في النهاية الى الهدف الذي أراده الكاتب . يشكل المحور الأول أحداث حياة (ددف) ومرافقه منذ الولادة حتى تسلم عرش مصر ، وتشكل المحور الثاني أحداث قصة حب ربطت بين (ددف) وابنة فرعون الاميرة (مري سي عنخ) .

الرواية في معظمها تقوم على المصادفات التي تسير نحو النهاية المحتومة في انتصار القدر ، فالتخطيط البنائي للرواية يحركه فكر الكاتب المسبق ، فالصراع الروائي يدور حول القوة الفردية والقدر المحتوم ، فبعد اللقاء الصدفة بين الساحر وخوفو تأتي ولادة الطفل الموعود مصادفة ، ثم ولادة ابن الخادمة المخلصة للكهنة في الوقت نفسه الذي ولد فيه الطفل الموعود ، كذلك مصادفة التقاء أم الطفل الهارب (زايا) مع موكب فرعون العائد ومصادفة موت زوج (زايا) التي جاءت مبشرة بالطفل ، ومصادفة تفوق (ددف) في جميع المباريات وتقريب ولي العهد له، ومصادفة رؤية (ددف) لصورة الفتاة الفلاحة التي تكشف عن ابنة فرعون ، ومصادفة مفاجأة الأسد لولي العهد وتخليص (ددف) له من الموت المحقق ومصادفة التقاء (ددف) مع أمه الحقيقية في سيناء.

²⁷ نفس المرجع ، ص 155.

²⁸ نفس المرجع ، ص 241.

²⁹ عبد المحسن طه بدر، نجيب محفوظ الرواية والأداة ، ج 1 ، ص 158.

الرواية جيدة البناء كثرة المفاجآت، محكمة الحبكة، رائعة الحل، وبالرغم أن بها العديد من المصادفات إلا أنها ليست بالشاذة أو بعيدة الحدوث ، ومادام الموضوع موضوع أقدار تدبر مصيراً معيناً فلا بأس من وجود مصادفات ومفاجآت تحقق غايتها.³⁰

الرؤية : تمثل رواية عبث الأقدار رؤية تقليدية شعبية، فهي أقرب إلى التصور الشعبي للقدر ودوره حيث يفصل العالمان عالم القدر وعالم الإنسان انفصلاً كاملاً.³¹ ويرى أن الجهد البشري عبثاً لا جدوى منه لأن هناك قوى غيبية يحلو لها أن تتلاعب بالإنسان وتسخر من فعله وتسوقه ضحية عاجزة إلى مصيره المفروض عليه منذ ميلاده .

الأحداث : تقوم أحداث الرواية على المصادفات مع تكرار الألفاظ والتعابير، واستخدام التفاصيل الدقيقة في كل موقف مع الإطالة ، ومن خلال هذه الرواية اتضح لنا أنه يمتلك رؤية فلسفية تاريخية تمكنه من فلسفة التاريخ أحداثه لكنه كان متردداً بين الفلسفة والفن، فقد نزع إلى الفلسفة في بداية حياته ثم بدأ يتجه نحو الفن القصصي والروائي ، وقد بقى فترة يعيش حالة التردد هذه ورأينا موقفه هذا حينما تحدث عن الفن وشبه الفنان بأنه صاحب شخصية ذات طبيعة أنثوية ، يقول محفوظ في الحوار الدائر بين (ددف) والفنان (نافا) : "أنت ياسيد نافا يتغلب عليك الوجدان كالنساء... ثم قال : أنت رجل يانافا، ولكنك رقيق النفس ، حساس الوجدان ، ألا تذكر أن (خنى) قال مرة : ان الفنانين جنس بين الرجال والنساء" وفي روايته الثانية رادوبيس يتحدث عن الفن بلسان الفيلسوف فيرى أن "الفن لعب خيال ، ولا يكسب صاحبه إلا اللذة.

لغة الرواية هي الفصحى ، التي استخدمها المؤلف في القص والوصف والحوار جميعاً، وكانت طبيعية ومؤدية وظيفتها إلى حد كبير فليس من المعقول أن يجري الحوار بالعامية؛ لما سيحمل من ظلال محلية شعبية تبعد بالرواية والأبطال عن الجو التاريخي الجليل ، لكن يبدو أن المؤلف في هذه الفترة لم يتمرس ويتمكن من اللغة العربية فوقع في بعض الزلات اللغوية مثل قول المؤلف على لسان فرعون وهو يخاطب الساحر: "إني آمنك من عاقبة ما تقول"³² ؛ يريد: "أؤمنك". "فأمن" فعل لازم وهو مضارع أمِنْتُ. وأما المتعدي المطلوب فهو أؤمن ، ماضي أَمَنْتُ... ومن تلك الزلات أيضاً قول المؤلف عن فناء المدرسة

³⁰ أحمد هيكل، الأدب القصصي والمسرحي ، ص 265.

³¹ عبد المحسن طه بدر، نجيب محفوظ الرؤية والأداة ، ج 1، ص 155.

³² انظر : عبث الأقدار ، ص 21.

الحربية التي تعلم فيها البطل:"وكان الفناء عظيم الاتساع تربو مساحته على قرية كبيرة ، ومحوط من ثلاث هات بسور ضخمة..."³³وقد كان الصواب أن يقول عن الفناء: ومحوطاً لأنه معطوف على خبر كان.

ومن تلك الزلات كذلك قول المؤلف على لسان خوفو: وهو حزين يحدث الأمير عن الموت بعد الانتهاء من تشييد الهرم:"ولكن إذا ذكر بالموت ألا يوجب شيئاً من التأسي؟"³⁴ . والمؤلف يعنى الأسى من غير شك ، ولا تنفع هنا كلمة التأسي ، لأن معناها اتخاذ الغير أسوة ، مما قد يحمل على التصبر والتعزي الذي تؤدي إليه القدوة. ومن تلك الأخطاء كذلك قول المؤلف عن قلب البطل"شجاع لا يهاب الموت، جسور لا يلوى على المخاطر"³⁵ فالمراد أنه لا يبالي بالمخاطر وعبرة لا يلوى على المخاطر لا تؤدي هذا المعنى، فيقال"فلان لا يلاوي على كذا" أي لا يميل إليه واستعمال التركيب مع المخاطر ربا يناقض المعنى الذي قصده المؤلف، وبالرغم من هذه الأخطاء إلا أن لغة الرواية عامة تتسم بالدقة والجمال خاصة في المواطن الوصفية والعاطفية التي تحتاج إلى لغة شاعرة.

الهدف من الرواية يخرج القارئ من هذه الرواية بفيض من مشاعر التقدير والاعجاب بالشعب المصري، وهذا الحب والتقدير من خلال ابن هذا الشعب ونموذج حي منه، كما يخرج القارئ كذلك باقتناع وجوب انتقال السلطة إلى الشعب، ممثلاً في أبنائه الخالصين العاملين القادرين على رفعته وإعلاء شأنه ، وكأن الرواية توحى منذ هذا الوقت المبكر بضرورة تنازل الملك عن العرش، ووضع القيادة في يد أمين قادر من أبناء الشعب كما فعل "خوفو" مع "ددف" في نهاية الرواية، كما تعرض الرواية أيضاً عظمة المصريين وتفوقهم وتحضرهم في كافة مجالات الحياة منذ هذا التاريخ القديم، ويؤخذ أيضاً على هذا التاريخ قسوة بعض حكامه وتسخيرهم للناس في تشييد مقابرهم ، بل ما يمكن أن يوجه لبعضهم من قتل وسفك لكن نجد دفاعه المقنع ومنطقه الانساني في هذه الرواية.³⁶

رواية رادوبيس: تشير رواية رادوبيس إلى انهيار الدولة القديمة، حيث تزايد نفوذ الكهنة، مما أدى إلى ضعف السلطة المركزية وانهيارها، فقد شكل الصراع بين فرعون مصر(مرنرع الثاني) وكهنة المعابد خطأ أساسياً في هذه الرواية، ونجم هذا الصراع من اعتداء الملك على

³³ انظر المصدر السابق ، ص 89.

³⁴ انظر المصدر السابق ، ص 97.

³⁵ انظر المصدر السابق ، ص 119.

³⁶ أحمد هيكل، الأدب القصصي والمسرحي ، ص 263.

أملاك المعابد وسيطرته على جزء كبير منها لينفقها على ملذاته وشهواته الخاصة، فكان شاباً وسيم يعيش في تطيش بين نزوات الحب وصبواته، فمال قلبه إلى (رادوبيس) إحدى غواني مصر القديمة الفاتنات، وشغف بها حباً ولم تكن أقل منه في هذا الحب، تعلقت به منذ أن رآته في حفل تتويجه ملكاً على البلاد، وما لبث أن هجر الشاب عرشه وزوجته الملكة (نيتوقريس) إلى جزيرة بيجة حيث قصر رادوبيس الأبيض، وأمضى هناك معظم أوقاته تاركاً شؤون مملكته لرئيس وزرائه (سوفخاتب) بعد أن أزال رئيس الكهنة (خنوم حتب) من منصبه، فتوالى الالتماسات إلى رئيس الوزراء لاستعادة أراضيهم وحقوقهم المغتصبة، فتزايدت موجة الصراع بين الملك والكهنة، فقام الكهنة بتأليب الشعب ضد الملك، فخرجت الجموع المشحونة الثائرة يوم الاحتفال بعيد النيل، مشحونة بالسخط والغضب لعبثه بأموال البلاد وانصرافه عن الحكم، وأحاطت هذه الجموع بالقصر ودوت هتافات بسقوط الملك العاثر، ووقع الصدام بينها وبين الحراس وانتهى الأمر بمصرع الملك وانتحار عشيقته رادوبيس بالسهم القاتل.

تبدأ الرواية أحداثها في الاحتفال بعيد النيل، وتنتهي في الاحتفال بعيد النيل أيضاً، والزمن لا يمتد طويلاً، وتبدو فصول الرواية وكأنها لا تمثل امتداداً في الزمان بل تمثل امتداداً في المكان، وكأن المؤلف قد ثبت الزمن ليعمق احساسنا بالمكان والشخصيات³⁷، وزمن هذه الرواية لا يتجاوز العام³⁸

المكان في الرواية هي مدينة أبو عاصمة مصر والتي تقع في أقصى جنوب البلاد، وجزيرتي بيجة وبيلاق حيث يوجد هناك قصر رادوبيس الأبيض، ذلك القصر الممتلئ بالتحف الفنية والأثاث الفخم، يأتيه تجار البلد وكبار الساسة والفنانين فكان أشبه بصالون فني، لكن في الحقيقة هنا نتعامل مع زمان مطلق ومكان مطلق بلا خصوصية بمعنى أن هذه الرواية تنفع لأي زمان و أي مكان.

طريقة نجيب محفوظ في هذه الرواية تدفع القارئ إلى الشك والحيرة في المعلومات القليلة المتوفرة له عن هذه البيئة، كإشارته إلى معرفة المصريين للعجلات الحربية في هذه الاسرة، أو لأشجار الزيتون التي ترمز إلى السلام ووفرته في أقصى جنوب مصر، فيقتصر على الناباتات الحارة، حتى الاحتفالات بعيد النيل فهذا الوصف يمكن أن يكون في أي بيئة وأي زمن.

³⁷ عبد المحسن طه بدر، نجيب محفوظ الرؤية والأداة، ج 1، ص 212.

³⁸ عبد المحسن طه بدر، نجيب محفوظ الرؤية والأداة، ج 1، ص 213.

الشخصيات: (الملك مررع الثانى) الملك الشاب القوى الذى لا يخلو من تهور وعناد وحب للنساء، ويهوى الاسراف والبذخ، هو شاب جميل لا نظير له في الطول الفارع وحسنه الجاهر³⁹.

(رادوبيس) الفاتنة الغانية كانت في الأصل فتاة ريفية تحب (نوتيا) الذي أخذها إلى اقصى الجنوب في بيجة واختفى ثم انقطعت صلتها بالريف وأهلها والتقطها كهل ذو لحية طويلة فتزوجها⁴⁰ وبعد موته أصبحت ملكة النفوس والأهواء جميعاً، وهدف العشاق والمعجبين ويستبقون إلى نيل عطفها ورؤيتها⁴¹ تأسر قلوب الرجال بجمالها وفتنتها.

(نيتوقريس) زوجة الملك المخلصة التى تُجرح فى كرامتها ومع ذلك تظل بجانب زوجها إلى النهاية، وصورها المؤلف كنفيس مباشر لفرعون ، احساساً بالمسؤولية وضبطاً للنفس وذكاء وصبراً وتضحية.

مساعدا الملك وهما **(سوفخاتب)** كبير الحجاب صاحب الحكمة التى تنقصها القوة المرجوة ، وكان دائماً ينصح فرعون بالصبر والتأني ، بجسمه النحيل الطويل ورأسه الأشيب

ثم **(طاهو رئيس الحرس الملكى)** بقوته الظاهرة التى لن تخلو من نزوة ستؤدى إلى كارثة، وكان دائماً يحاول أن يدفع غضب الملك عن طريق الانضمام معه في نفس الرأي، وكان صاحب جسم فولاذي قوي تربى على ركوب الخيل والعجلات⁴²، وكان جسمه طويل و صدره عريض وصاحب عضلات⁴³ وكان في الأصل عاشقا لرادوبيس وحاول أن يمنعهم من الوصول لبعض.

(خنوم حتب) هو رئيس الوزراء وكبير الكهنة وهو الشخصية المقاومة التى تواجه الملك وتنتصر عليه، وهو رجل حديدي الارادة شديدي المراس⁴⁴، يحب وطنه ومخلص لفرعون، لكنه ثار غضبا عندما أراد الملك ان يأخذ منه أراضي المعابد ، وكتب التماسات كثيرة وقام بتأليب الشعب ضد الملك.

39 نجيب محفوظ، رادوبيس، مكتبة مصر بالفجالة، القاهرة، الطبعة الثالثة، عام 1947م، ص 8.

40 نفس المرجع، ص 78.

41 نفس المرجع، ص 10.

42 نفس المرجع، ص 22.

43 نفس المرجع، ص 31.

44 نفس المرجع، ص 10.

(الساحرة) كانت تدعي الاطلاع على الغيب ومعرفة المستقبل، وكانت منحنية الظهر، تنوكتاً على عصا غليظة، بيضاء الشعر، حادة البصر ومقوسة الأنف، يشع من عينيها نور مخيف، وكانت ترتدي جلباباً واسعاً طويلاً.⁴⁵

(هنفر) هو الفنان الذي قام بنحت تمثال لرادوبيس وكتب اسمها على مسلات قصرها، له قائمة رشيقة وحجرة ناتئة، وشعر مجعد مفلل، وذو أنف أفطس، وكان من الرجال الذين تستخف ظلهم، فكان يحب المزاح.⁴⁶ (السيد عانن) هو تاجر سن الفيل، يرتدي ثياب فضفاضة وشعر مستعار، حياته دائماً يقضيها في السفر ما بين بلاد النوبة وما بين الجنوب والشمال، ودائماً يعمل على التقرب من رادوبيس بأجمل الهدايا.⁴⁷ (بنامون بن يسار) رقة خالصة وطفولة وسذاجة وعبادة خالصة للجمال وفناء كاملاً فيه، وهو أبلغ تلاميذ الفنان (هنفر) الذي يثق به ثقة شديدة، وهو الذي كُلف بزخرفة الحجرة الصيفية لرادوبيس⁴⁸، وهو الذي كلفته رادوبيس بتوصيل مكتوب إلى حاكم الجنوب (كارفرو) لتكوين الجيش وإرساله إلى العاصمة، فكانت تثق به وبطفولته. (الفيلسوف هوف) كان أستاذ جامعة أون الأكبر، وعاد أخيراً إلى أبو مسقط رأسه، وكان في السبعين من عمره.⁴⁹ (كارفرو) هو حاكم الجنوب الذي يتعرض إلى متاعب كثيرة بسبب تمرد قبائل المعصايو.⁵⁰ (الوزير أوننا) هو الوزير السابق المتوفى الذي عقد معاهدة مع قبائل المعصايو على أساس المنفعة المتبادلة، فمهم بالغذاء مقابل أن يؤمنوا له طرق القوافل.⁵¹ (شيث) هي خادمة رادوبيس.

العقدة في هذه الرواية أنه يرغب فرعون في ضم أملاك المعابد إلى أملاك التاج، وأن يسترد المنح الواسعة التي وهبها آباؤه وأجداده على رجال الكهنوت، حيث كان الكهنة موضع عطف الفراعنة، يقطعونهم الأراضي، ويهبونهم الأموال، حتى صاروا يملكون ثلث الأراضي المنزرعة، وتغلغل نفوذهم في الأقاليم.

ما زال أسلوب نجيب محفوظ واقعاً تحت أسر اللغة التقريرية المباشرة العامة والضبابية، أكثر من خضوعه للغة الروائية التي تصور وتجسد، فتتفر من التعميم والمباشرة وتتجه إلى

⁴⁵ نجيب محفوظ، رادوبيس، دار مصر للطباعة، القاهرة، ص 13.

⁴⁶ نفس المرجع، ص 38.

⁴⁷ نفس المرجع، ص 36، 37.

⁴⁸ نفس المرجع، ص 38.

⁴⁹ نفس المرجع، ص 38.

⁵⁰ نفس المرجع، ص 39.

⁵¹ نفس المرجع، ص 42.

التخصيص ، بل والتخصيص الدقيق الذي يحاول الاحتفاظ بكل فعل فى الرواية، فلم يتقدم نجيب محفوظ في احساسه باللغة الروائية وطبيعتها الخاصة في هذه الرواية مثلها مثل رواية عبث الأقدار.⁵²

بناء هذه الرواية يقوم على محورين وهما: صراع الملك بين الكهنة على استرداد أراضي المعابد التي وهبها أسلافه من قبل ، وأهواءه الجامحة وقصة حبه مع رادوبيس الغانية .

وتماسك بناء الرواية في رواية رادوبيس يبدو أكثر قوة من رواية عبث الأقدار ، فليس الفعل البشري عبثاً وسخرية يتجه دائماً إلى النقيض، ولكنه فعل له غاية وله هدف قد ينتهي بالإنسان إلى السعادة وقد ينتهي بالمأساة مثلما حدث مع الملك ولكن هذه المأساة نابغة من طبيعة الانسان الداخلية وليس كمجرد آلة في يد القدر لذلك نجد هنا أن تداخل القدر في هذه الرواية ضئيلاً بالقياس مع رواية عبث الأقدار.⁵³

كانت أحداث الرواية بطيئة، يتمادي في الوصف الغير مقتع، وترديد نفس النغمات عن الحب والنشوة، وهي فقرات مكررة عشرات المرات على طول الرواية بطريقة تدفع القارئ إلى السأم والملل، لأن المؤلف اختار المباشرة والتعميم بدلاً من التصوير والتخصيص، فلجأ إلى وصف البشر وعلاقتها في قمة الروعة، مثله مثل أي شاعر عربي يمدح في الحاكم ويصفه بأعلى الفضائل كأشجع الناس وأكرمهم فأدت إلى صيغة التكرار.

هذه الرواية لاتقدم للقارئ ما يثير عقله وكأن كل شئ عرفه مسبقاً، فلا تقدم للقارئ مايكفيه من العجائب والغرائب ، فعلاقة الحب في هذه الرواية تقليدية إلى درجة كبيرة فالملك يحب غانيه ويضحى من أجلها بكل شئ وهي ضحت من أجله وتركت كل الرجال، هنا نحن أمام علاقة حب مكررة وقصة معادة ليس بها الجديد، وتدور الأحداث حول نفس المحور مكررة نفسها ، ويزيد من حجم الملل أكثر ورتابة الأحداث أنه لم يفكر أبداً في أخته وزوجته الملكة ، ولم يندم، ولا يسأل أبداً نفسه حول اهماله لشعبه.

والوصف الغير المقتع وكل التعليقات حول جمال رادوبيس لم تفلح في ان تنتقل روعة هذا الجمال الخارق، فالرواية كلها عبارة عن ترديد وتكرار لنفس الجمل والصيغ وهذا من الناحية الجسدية حتى من الناحية النفسية فصورتها لا تقل روعة عن صورها الجسدية " قصرها يستقبل

⁵² عبد المحسن طه بدر، نجيب محفوظ الرؤية والأداة ، ج 1 ، ص 224.

⁵³ نفس المرجع ، ص 201.

كل مساء جماعة ممتازة من الساسة والحكماء والفنانين" وكأنها أعمق الناس للحكمة وأدراهم بالسياسة وتصوير بيتها وكأنه صالون من صالونات باريس وأنها أقرب إلى امرأة في عصرنا هذا وليست امرأة من أقصى صعيد مصر الفرعونية.⁵⁴ ومن البداية يتحدث محفوظ عن الشارع المصري في الرواية كأنه الشارع المصري الحديث ، بل أن حوارات الوجهاء عن أمور السياسة في (رادوبيس) تشبه الأحاديث السياسية في الثلاثية مثلاً ، القارئ لا يستطيع أن يمحو عصر الأربعينيات من ذهنه وهو يقرأ (رادوبيس) ، فصالون رادوبيس يشبه في جانب منه صالونات الأربعينيات ، ولفظ رئيس الوزراء ، وخلاف رئيس الوزراء (المحبوب من الشعب) الدائم مع الملك ، كل هذه ليست سوى دلالات واضحة على عصر محفوظ الذي عاش فيه.

وأثناء عرض هذه الرواية في المسابقة الأدبية اتصل به أحمد أمين باعتبار أنه عضو من أعضاء لجنة التحكيم ، ونصحه بالتعرف على تاريخ مصر القديم بصورة أفضل ، باعتبار أنه وجد في الأسرة السادسة في الموكب عربة تجرها الخيول وهذه العربات لم تدخل مصر إلا مع دخول الهكسوس ، فرد عليه معللاً بأنه يعرف تاريخ مصر القديمة جيداً ولكنه أراد بذلك إضافة مظهر من مظاهر العظمة والفخامة على الموكب الفرعوني في مصر العظيمة في هذه الفترة.⁵⁵

تتجاوز الرؤية الفنية لهذه الرواية الاطار التاريخي فهي شملت واقع الحياة المصرية في الوقت التي ظهرت فيه، وهو أوائل الأربعينيات حيث كانت مصر في ذلك الوقت تحت الحكم الملكي، بكل أنقاله وأوزاره، فكأنها تنبئه الوعي الوطني وتنبيه الشعب إلى طريق الثورة، كما تشير في نفس الوقت إلى أصالة الشعب المصري وشعوره بواجباته تجاه وطنه، وواجبات الحاكم تجاه الوطن أيضاً، وكان هنا نجيب محفوظ حريصاً على عدم تداخل الحاضر مع التاريخ، فجعل رجال الدين وكهنة المعابد هم المحركين لثورة الشعب والمحرضين عليها ولم يفتعل تنظيم سياسي كما هو الحال في المجتمعات الحديثة، لأن ذلك التكوين يتناسب مع مصر القديمة، ولأن الأرض التي سلبها الفرعون من الكهنة فكان من الطبيعي أن تقوم الثورة داخل طبقة الكهان الدينية الذين يعملون على خدمة هذه المعابد ولهم سلطان عظيم على أفراد الشعب.⁵⁶

⁵⁴ نفس المرجع ، ص 220.

⁵⁵ نجيب محفوظ، أتحدث إليكم ، الطبعة الأولى ، دار العودة ، بيروت ، 1977 م ، ص 90-9.

⁵⁶ شفيق السيد، اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة 1967م ، مكتبة الشباب، القاهرة 1988، ص 30.

ورؤية نجيب محفوظ هنا حيال القدر في هذه الرواية أن الجهد البشري أيضاً عبثاً لا جدوى منه لأن هناك قوى داخلية تسيطر على الانسان وهو (حب الملك لرادوبيس) الذي جلبه إلى مصيره المفروض عليه منذ ميلاده ونهايته المعدة له سلفاً منذ ميلاده أيضاً.

الهدف من هذه الرواية هو تنبيه الشعب بحقوقه وواجباته، وإحياء روح الوطنية ، والثورة ضد الظلم ، وإظهار فساد الحكام. فكانت الرواية عبارة عن حملة بأسلوب غير مباشر على الملوك الفاسدين، وعلى الملكية، وإنذار للملك فاروق بما يمكن أن يؤدي إليه سلوكه من غضب شعبي يطيح بالفساد والمفسدين.⁵⁷

رواية كفاح طيبة : كتب نجيب محفوظ هذه الرواية في أوائل الأربعينات حيث كان الاحتلال البريطاني يتحكم في أرض الوطن ويذيق الأهالي كثيراً من المظالم، وتدور هذه الرواية حول احتلال الرعاة أو الهكسوس لمصر في التاريخ القديم، وصور طغيانهم في معاملة الشعب ونظرتهم إليهم نظرة دونية على أنهم عبيد سمر وان الوسيلة الوحيدة للتفاهم معهم هو السوط، وهي نظرة شبيهة لنظرة الانجليز لأفراد الشعب خلال فترة احتلالهم للبلاد، لقد احتل الرعاة مصر وأقاموا بمنف عاصمة الشمال ومنحوا طيبة عاصمة الجنوب استقلالاً ذاتياً تابعاً في نفس الوقت إلى التاج لكن بعد قرنين من الزمان تطلع الملك (أبوفيس) أحد ملوكهم إلى القضاء على هذا الاستقلال وتصدى له الملك (سيكننرع) حاكم الجنوب ببسالة في معارك كثيرة انتهت بهزيمته ومصرعه وسقوط طيبة في قبضة الهكسوس، وفرار الأسرة الحاكمة إلى بلاد النوبة، وبقاء الشعب تحت الذل والاستعمار حتى استطاع الملك الشاب (أحمس) حفيد الملك (سيكننرع) من أن يبني جيشاً قوياً يستعد به لاسترجاع وطنه وذلك بعد عشر سنوات، دخل معه في عدة معارك انهزم في بعضها لكنه لم ييأس وواصل الزحف حتى تمكن من القضاء على الهكسوس وطردهم من طيبة بل طاردهم أيضاً في شمال البلاد حتى عادوا مرة أخرى لصورتهم الحقيقية كزراعة في الصحراء ، وضحى بحبه للأميرة (امنريدس) ابنه ملك الهكسوس، واستطاع ان يضم الشمال والجنوب تحت اقليم وتاج واحد.

ويقول نجيب محفوظ " أن رواية كفاح طيبة كانت انعكاساً للظروف التي تمر بها مصر وقتئذٍ، وفي رواياته الثلاثة كان هناك مد فرعوني وله مبرراته لأن العصر الفرعوني هو المرحلة

⁵⁷ عبد المحسن طه بدر، نجيب محفوظ الرؤية والأداة ، ج1، ص 189.

المضيئة الوحيدة في مواجهة الواقع المر الذي كنا نعيشه، فكانت كفاح طيبة ضد المحتل الانجليزي، والحاكم التركي القابع في السراي، كنت أغلي ضد الانجليز وضد الأتراك⁵⁸

يمتد الزمان في رواية كفاح طيبة إلى ثلاثة أجيال وهو زمن الملك سيكننرع وكاموس وأحمس وهذا الامتداد الزمني جعل امتداد في المكان فأصبحت مصر مسرحاً لأحداث الرواية، وتمتد زمن الرواية إلى مائتي عام، وتدور الأحداث خلال عهدي الأسرة السابعة عشرة والثامنة عشرة من الأسر الفرعونية.

تدور الأحداث في مدينة طيبة في أقصى جنوب مصر، حيث يحكمها الملك سيكننرع ، ومدينة منف في أقصى الشمال حيث يحكمها الملك أبو فيس

الشخصيات ك (الملك سيكننرع) هو حاكم طيبة، كان متوج بتاج الجنوب الأبيض وبيده الصولجان والعصا المعقوفة، وكان ملكاً شجاعاً يدافع عن وطنه ببسالة دخل في عدة معارك ضاربة مع ملك الهكسوس انتهت بمصرعه وهزيمته وانتقال الاسرة الحاكمة إلى بلاد النوبة، ووصفه رسول الهكسوس أنه رجلا مهيباً طويل القامة، مستطيل الوجه، شديد السمرة، يميز ملامحه بروز في أسنانه العليا.⁵⁹

(أبو فيس) هو حاكم مدينة منف، وهو من الرعاة تحجج بأن أصوات أفراس تزرعه عند المنام فيريد أن يقتلها وبذلك أشعل نيران الحرب واحتل مصر ، وكان ذو بشرة بيضاء ولحية كثة ، وينظر الى المصريين نظرة تكبر واستعلاء على أنهم فلاحين وعبيد.

(خيان) كبير حجاب القصر الفرعوني، هو رسول الملك (أبو فيس)، وكان رأيه أن السوط هو وسيلة للتفاهم مع المصريين، كان رجل بدين قصير القامة، مستدير الوجه، طويل اللحية، أبيض البشرة، يرتدي معطفاً فضفاضاً ويقبض بيمينه على عصا غليظة ذات مقبض ذهبي.⁶⁰

(الأم توتيشري) هي أم الملك الشهيد (سيكننرع)، تتجسد في شخصيتها كل صفات الأسرة الفرعونية بما تتصف به من شجاعة وصبر وجد، وتعبر بحياتها الطويلة عن استمرارية الرسالة وعدم انقطاعها، فكانت المستشارة لولدها (سيكننرع)، وكانت سر عمل (كاموس) وروحه، ودافعة

⁵⁸ جمال الغيطاني، نجيب محفوظ يتذكر ، الطبعة الاولى ، دار المسيرة ، بيروت، 1980م ، ص 44.

⁵⁹ نجيب محفوظ ، كفاح طيبة ، مكتبة مصر بالفجالة ، الطبعة الثالثة، عام 1947م ، القاهرة، ص 16.

⁶⁰ نفس المرجع ، ص 5.

(أحمس) ورائدته، ترفض العودة الى أرض الوطن حتى يتحرر آخر شبر من أرضها وكانت في الستين من عمرها.⁶¹

(كاموس) هو ابن الملك (سيكنرع) الذي دخل في عدة معارك وانتهت بمصرعه.

(أحمس) هو الأمير أحمس بن الملك سيكنرع الذي فرّ هارباً من مصر إلى بلاد النوبة مع أسرته بعد أن توفي والده في الحرب مع الهكسوس ومنذ هذا اليوم أقسم بالعودة مرة أخرى وتحرير البلاد ، وكان يتنكر في زي تاجر من النوبة يدعى (اسفينس) وكان في العشرين من عمره، ذو بشرة سمراء، طويلاً طويلاً فارعاً ونحياً، وذو صدر عريض متين، ووجه مستطيل به نضارة وجمال، و ذو عينان سوداوان بالصفاء والحسن، وأنف مستقيم أشم بالقوة والتناسق، يصفه المؤلف وكأنه صورة صادقة من جده (سيكنرع).

(حور) رئيس حجاب قصر الجنوب، الذي هاجر مع الأسرة الملكية إلى بلاد النوبة بعد أن اضطروا إلى ترك بلادهم، وعاد مرة أخرى متخفي في شخصية (لاتو) وكيل التاجر (اسفينس)، عاد بعد أن أصبح شيخاً كهلاً في الستين من عمره، يميل إلى النحافة والقصر، بارز الجبهة في استواء وارتفاع، ذو نظرة عميقة بها حزن.⁶²

(كاف) هو قائد الأسطول. (أوسر آمون) هو رئيس الوزراء. (توفر آمون) هو الكاهن الأكبر لآمون الذي احتفظ بعرش المملكة. (بيبي) هو قائد الجيش الذي حارب مع الملك (سيكنرع) بكل شجاعة، وهو الذي قام بتجميع جثة الملك وأرسل الأسرة الملكية الى بلاد النوبة في مكان أمين، ثم عاد لمحاربة الهكسوس بنفسه حتي قتل. (حاكم الجزيرة) كان يجلس في بهو الاستقبال لينظر إلى مظالم الناس لكن في الحقيقة هو كل ما يهيمه الذهب والرشاوي التي يكتسبها، رجل ذو مطامع، ذو لحية طويلة كثة، وعينان لوزيتان حادثان، وذو أنف بارز.⁶³

(طونا) هو رجل قصير القامة من قوم السكارى في الحانة، غليظ الوجه والرقبة عظيم الكرش،⁶⁴ (السيدة ابانا) هي التي غضبت على الضابط الفرعوني ورفضت ضمها إلى حريمه، فذهبت الى المحكمة بتهمة التعرض لضابط ملكي وكان الحكم عليها بالظلم، وقد انقذها (اسفينس) ودفع الغرامة المقررة عليها ، وهي سيدة هادئة بها وقار وتتجلى قسمايتها الحسن على الرغم من

⁶¹ عبد المحسن طه بدر، نجيب محفوظ الرؤية والأداة ، ج1، ص 259.

⁶² نفس المرجع ، ص77.

⁶³ نفس المرجع ، ص 81.

⁶⁴ نفس المرجع ، ص 95.

بلوغها الأربعين.⁶⁵ (أحمس بن إبانا) هو الشاب الأسمر الذي يكن عداوة للهكسوس، ويعرف تاريخ بلده جيداً على الرغم من حداثة سنه، وهو شاب رشيقاً طويلاً يرتدي وزرة قصيرة، وقد ساعد الأمير أحمس بعد ذلك في الدخول إلى بلده. (الأميرة امنريدس) هي ابنة الملك (خنزر) ملك الهكسوس حاكم الجنوب وهي التي تعرفت على (أحمس) وأخذت من تجارته قلادة ذات قلب زمردني، وكانت بينها وبين أحمس قصة حب انتهت بعد أن فارقت مع جيوش أبيها الراحلة. (خم) هو وكيل عن القائد (رخ) في المحكمة الذي اعتدى على السيدة إبنانا وطلب منها ضمها إلى حريمه.⁶⁶ (زولو) هو ذلك القزم من بلاد النوبة، التي أعجبت به الأميرة بنت حاكم الهكسوس. (القاضي سنموت) هو أخ لملك الهكسوس (خنزر) ويحكم بين الناس بالظلم.

تطور أسلوب نجيب محفوظ في رواية كفاح طيبة قليلاً، وقام باستخدام الرموز، لكنه مازال تحت أسر اللغة التقريرية والتخصيص الدقيق لكل موقف، والاحتفاظ بكل فعل في الرواية ووصفه وصف عام، فيشعر القارئ بتكرار الجمل والعبارات.

البناء الفني في هذه الرواية يتمثل في تقديم المشكلة أو الأزمة التي تعالجها الرواية في الفصل الأول أو في الصفحات الأولى منها، ثم تتنوع الأحداث وتتجه إلى حركة دائبة إلى الأمام، حيث تزداد فيها المشكلة تأزماً وتعقيداً، ثم تأخذ طريقها إلى الحل أو النهاية

العقدة هي محاولة الملك (أبو فيس) ملك الرعاة أن يبسط سيطرته على الجنوب وكان في ذلك الوقت يحتل شمال مصر، فأرسل كبير حجابيه برسالة إلى (سيكنرع) حاكم طيبة عاصمة الجنوب، وتحتوي على ثلاثة مطالب ولم يكن يقصد بها إلا ذل الحكام وكسرهم لانهم مازالوا يتمتعون بالاستقلال، فكانت هذه الرسالة بمثابة الشرارة التي انطلقت منها الرفض الوطني لمطالب المعتدين ونتجت عن ذلك معارك الكفاح والبطولة بين الهكسوس والمصريين التي امتلأت بأحداثها الرواية حتى انتهت بالنصر على يد (أحمس) العظيم قاهر الهكسوس.⁶⁷

تختلف رؤية نجيب محفوظ في هذه الرواية عن الروايتين السابقتين، فالفعل البشري ليس عبثاً لا جدوى منه، لأنه تؤثر عليه قوى غيبية تتلاعب بالإنسان، أو قوى طبيعية داخلية فرضت عليه منذ ميلاده، ولكن الفعل البشري هنا يعنى التضحية والإرادة وهو جهد له قيمة وجدوى بل وجائزة، وذلك هو السبب الرئيسي في رواية كفاح طيبة انها لا تنتهي بمأساة معدة ولكنها تنتهي

⁶⁵ نفس المرجع، ص 101.

⁶⁶ نفس المرجع، ص 101.

⁶⁷ اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة 1967م، ص 34.

بتحقيق النصر، لأن الفعل البشري له هدف وبالهدف والاصرار وعدم الاستسلام والصبر يمكن للانسان أن يحقق النصر والغاية، لذلك اختار فترة الصراع بين المصريين القدماء والهكسوس، والمصريون محتلون محتقرون مستضعفون لأنهم سمر الوجوه البيض المحتلون البيض المتكبرون، وهم برابرة محبون للحرب والخراب والتدمير، وهنا ممكن أن نضع المصريين المحدثين موضع المصريين القدماء، وأن نضع موضع الهكسوس المحتلين الانجليز أو الاستقراطية التركية أو هما معاً خاصة أن الفترة التي كتبت فيها الرواية لم تكن فترة احتلال مباشر لمصر من الانجليز، وكان المفكرون الذين يدينون بالقومية المصرية يكرهون الارستقراطية التركية كراهية مساوية لكراهيتهم للانجليز بل أن كراهيتهم للارستقراطية التركية قد تتفوق على كراهيتهم للانجليز.⁶⁸

لا تخلو الرواية من الظاهرتين البارزتين وهنا الحرص على التفاصيل الدقيقة والخروج إلى مناقشات وعظية جانبية، فالجيش المتحرك إلى الميدان يكاد أن يصفه المؤلف كعيد الاحتفال بالنيل في رواية رادوبيس أو كرحلة الصيد في رواية عبث الأقدار.

ونجيب محفوظ نفسه يشعر أن روايته تمثل ثلاثة أجزاء منفصلة، وليس ثمة رابطة حتمية بين الأجزاء الثلاث، وهولذلك يعطي كل جزء عنواناً مستقلاً، فالرواية تحمل ثلاثة عناوين، العنوان الأول يسميه المؤلف (سيكنرغ)⁶⁹، أما العنوان الثاني فيسميه (بعد عشرة أعوام)⁷⁰، أما العنوان الثالث فيسميه المؤلف (كفاح أحمس)⁷¹، وهو لا يكتفي بهذا التقسيم الثلاثي ولكنه يبدأ بترقيم الفقرات من جديد، مع بداية كل قسم، وكأنه مؤلف يبدأ تقسيماً جديداً لجزء آخر من كتابه، وأعطى لكل جزء عدداً من الفقرات، فالجزء الأول مقسم إلى خمس عشرة فقرة، أما الجزء الثاني يضم أربع عشرة فقرة، أما الجزء الثالث فيضم عدداً من الفقرات يزيد على عدد الفقرات في الجزأين الأول والثاني معاً، أما الجزء الثالث تبلغ عدد فقراته اثنتين وثلاثين فقرة، ولا يمثل الانتقال بين هذه الفقرات إلى تحولا في مجرى أحداث التاريخ، بل هو امتداداً للحدث في الزمان والمكان ويمثل تتابع تاريخي كأنه تسجيل حوادث بقلم مؤرخ لا يملك موقف فكري واضح.⁷²

⁶⁸ عبد المحسن طه بدر، نجيب محفوظ الرواية والأداة، ج 1، ص 238.

⁶⁹ نجيب محفوظ، كفاح طيبة، ص 5.

⁷⁰ نفس المرجع، ص 77.

⁷¹ نفس المرجع، ص 158.

⁷² عبد المحسن طه بدر، نجيب محفوظ الرواية والأداة، ج 1، ص 246.

هذه الحكايات الثلاثة تمثل مواقف منفصلة، فالأولى تمثل الهزيمة التي لحقت بالملك (سيكننرع) وتراجع أسرته إلى المنفى لبلاد النوبة، والحكاية الثانية وعنوانها بعد عشرة أعوام تمثل الصبر واستعداد الملك (كاموس) في المنفى بتجهيز الجيش ويشترك معه (أحمس) وذهابه إلى مصر في زي تاجراً متكرراً، أما القسم الثالث هو مرحلة الخلاص من الهكسوس وهزيمتهم 73.

حاول المؤلف ابتداءً من الحكاية الثانية أن يربطها بالحكاية الثالثة برابط أعمق كعلاقة الحب التي ستجمع بين (أحمس) وابنة ملك الهكسوس (أمنريدس). كما أنه استخدم الرمز في هذه الرواية عندما انتقلت الأميرة (أمنريدس) قلادة بها قلب زمردني، هذا القلب دليل على علاقة الحب التي ستربط بينها وبين (أحمس).

الواقع أن رواية كفاح طيبة تتحدث عن فترة من تاريخ مصر القديم، ولكن هي لا تحوّل تقديم تفسيراً للتاريخ بل إرسال رسالة من الماضي إلى الحاضر، وهي دعوة المصريين المعاصرين إلى التخلص من المحتلين والمستعمرين، كما تخلّصت مصر القديمة من الغزاة الهكسوس.

انتقال واضح في أسلوب نجيب محفوظ خاصة بعد رواية كفاح طيبة تتمثل فيما يلي: مزجه بين الفلسفة والتاريخ في رواية كفاح طيبة. ظهرت عنده النزعة الفلسفية في أعماله الأولى بالقدر الذي تسمح به، لكن الوطنية كانت البؤرة الأساسية التي ظهرت برفقتها نزعة الإصلاح الاجتماعي خاصة في رواية كفاح طيبة حيث قال: "أن أحمس حينما أستراد أرض مصر من الهكسوس وأخذ يوزع الأرض على الفلاحين فحققت بذلك نوعاً من المزج بين مدينتي الفضلى والتاريخ. فالتاريخ لا يقول لنا أن أحمس قد وزع الأرض على الفلاحين لكن المدينة الفاضلة التي كنت أحلم بها كانت تنهض على فكرة كون الأرض ملكية عامة للدولة، يزرعها الفلاحون ويعطون الدولة قدرًا من غلتها، وقد حاولت أن امزج بين مدينتي الفضلى والتاريخ عندما كتبت هذا الموقف الغير الثابت تاريخياً" وبعد هذه الرواية أصبحت نظرة الإصلاح الاجتماعي تتغلب⁷⁴.

(2) تغيير أسلوب نجيب محفوظ بعد رواية كفاح طيبة. التحول الأول: بدأ يحسم الصراع بين الفلسفة والفن، وبدلاً من أن تقسيم نفسه بين الفلسفة التي تقدم الحقيقة والفن الذي يقدم اللذة،

⁷³ نفس المرجع، ص 247.

⁷⁴ نجيب محفوظ، أتحدث إليكم، ص 86.

أدرك أنه يستطيع أن يقوم بالعملين معاً عندما يقدم أدباً جاداً يتعامل مع البشر ولا يتعامل مع الأقدار وعبثها بالبشر، ورواية كفاح طيبة تشير إلى أن الفن بالنسبة لنجيب محفوظ قد أصبحت له رسالة، فبدلاً من حديثه عن الفنانين وطبيعة المرأة في رواية "عبث الأقدار" وحديثه الغامض عن العلاقة بين الفن واللذة في رواية "رادوبيس" بدأ يشعر من خلال تجربته في رواية "كفاح طيبة" أن دور الفن لا يقتصر على مجرد تقديم اللذة ولكنه يتجاوز إلى دور أكثر أهمية بكثير⁷⁵.

التحول الثاني: بعد رواية كفاح طيبة تحول نجيب محفوظ من كتابة الروايات التي تتخذ التاريخ مجالاً لها، إلى الروايات التي تتخذ الواقع مجالاً لها.⁷⁶

الموضوعات التي أهتم بها نجيب محفوظ في الروايات الثلاثة أولاً المرأة اهتم نجيب محفوظ بالمرأة وأعطاه مساحة كبيرة في رواياته الثلاثة، لدرجة أنه منحها الاسم في الرواية الثانية (رادوبيس)، وقد وصفها بأشكال مختلفة. **المرأة الأنثى:** تمثلت في شخصية الأميرة (مري سي عنخ) ابنة فرعون فكانت رمزاً للحب والجمال، وكانت (رادوبيس) رمزاً للفتنة وفي نفس الوقت للوفاء، وكانت شخصية الأميرة (أمريديس) رمزاً للتضحية. **المرأة الزوجة والأم:** لم يهمل نجيب محفوظ صفة الأمومة في رواياته الثلاثة فكانت (الأم ريده ديدت) أم (ددف) في رواية عبث الأقدار التي قامت بحماية طفلة، وتمثلت في الخادمة (زايا) التي حرمت من الأمومة وقامت بتربية الطفل، وتمثلت أيضاً فش شخصية الزوجة المخلصة التي لحقت بزوجها إلى مكان عمله حتى علمت بوفاته، وتمثلت في زوجة القائد (بيبي) التي قامت برعاية أنها ورفضت الخضوع للأعداء في رواية كفاح طيبة. **المرأة الحكيمة القائدة:** فكانت (الأم توتيشري) في رواية كفاح طيبة مثلاً للصبر والصرامة والرأي السديد، فكانوا يعودون إليها في جميع المواقف الصعبة للأخذ برأيها، وكانت تبث فيهم روح الوطنية، ونلاحظ هنا أنه استخدم خلفيته الثقافية حيث أنه كان منتزحاً إلى الحزب الوفدي من أفكار هدى شعراوي وقاسم أمين وذلك أثر عليه. **المرأة اللعوب:** تمثلت في شخصية (رادوبيس) المحبة للجنس واغراء الرجال بمفاتنها.

ثانياً نهر النيل، تجري أحداث الروايات الثلاثة على ضفاف نهر النيل، وقد برع في وصف النيل وقواربه، باعتبار أنه يمثل وحدة العب المصري ورمزاً للعطاء، لكن قام بوصفه كثيراً باستخدام نفس العبارات فأصبح سلبية أكثر منه إيجابية.

⁷⁵ عبد المحسن طه بدر، نجيب محفوظ الرؤية والأداة، ج 1، ص 236.

⁷⁶ عبد المحسن طه بدر، نجيب محفوظ الرؤية والأداة، ج 1، ص 237.

Sonuç

Necip Mahfuz, tarih hakkında yazmış olduğu bütün tarihsel romanlarda şimdiki zamana eğilim göstermiştir. Mahfuz, geçmişî arka planda tutmuş ve adeta maske gibi kullanmıştır. Yazarın hayatta söyleyemediği yasak olgular, romanda dile getirilmiştir. Ayrıca geçmişten ders alarak olayları günümüze aktarmış ve şimdiki zamanı yargılamak için kullanmıştır.

Mahfuz, yazmış olduğu tarihsel romanlarda, halka mesaj verme amacı gütmüştür. Geçmişte olan olayları, objektif bir şekilde okuyucuya aktarmıştır. Yazarın romanlarındaki bir diğer ortak nokta ise, okuyucuya verilmek istenen bilgi, coşkulu bir anlatım tarzıyla verilmesidir. Mahfuz'un bu şekilde hareket etmesindeki asıl amaç, dönemin yaşanmış tarihini tüm netliği ve yaşanmışlığı ile okuyucuya mecaz anlatım tarzı ile sunmaktır.

لمصادر والمراجع

- أحمد هيكمل، الأدب القصصي والمسرحي في مصر من أعقاب ثورة 1919 إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، الطبعة الرابعة، دار المعارف، 1983.
- جمال الغيطاني، نجيب محفوظ يتذكر، الطبعة الأولى، دار المسيرة، بيروت، 1980م.
- شفيع السيد، اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة 1967م، القاهرة، مكتبة الشباب، 1988.
- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (1870-1938)، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، 1983.
- عبد المحسن طه بدر، نجيب محفوظ الرؤية والأداة، ج1، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1978.
- نجيب محفوظ، أتحدث إليكم، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، 1977م.
- نجيب محفوظ، رواية رادوبيس، الطبعة الثانية، مكتبة مصر، القاهرة، 1947.
- نجيب محفوظ، رواية كفاح طيبة، الطبعة الثانية، مكتبة مصر، القاهرة، 1947.
- نجيب محفوظ، رواية عبث الأقدار، الطبعة الثالثة، مكتبة مصر، القاهرة، 1960م.
- يوسف حسن نوفل، القصة والرواية بين جيل طه حسين وجيل نجيب محفوظ، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، 1977م.

المراجع التركية

Ürün, Ahmet Kazım, Necip Mahfuz ve Toplumsal Gerçekçi Romanları, İlk baskı, Çizgi Kitabevi, Konya 2002.